محاضرة

وقفة مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ((إن فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله الحلم و الأناة))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الرحيم الرحمن ، العظيم السلطان ، { هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى

عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ

مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } ، وأصلي وأسلم على البشير النذير،والسراج المنير، نبينا محمد وعلى

آله وصحبه أجمعين ، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون }

الحلم والأناه هو ضبط النفس، وكظم الغيظ، والبعد عن الغضب، ومقابلة السيئة بالحسنة

وهو لا يعني أن يرضى الإنسان بالذل أو يقبل الهوان

وإنما هو الترفع عن شتم الناس وتنزيه النفس عن سبهم وعيبهم .

و الحلم صفة من صفات الله تعالى فالله سبحانه هو الحليم يرى معصية العاصين ومخالفتهم لأوامره فيمهلهم { واعلموا أن الله غفور حليم{ [البقرة: ٢٣٥].

و الحلم خلق من أخلاق الأنبياء، قال تعالى عن إبراهيم { إن إبراهيم لأواه حليم }[التوبة :١١٤]

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أحلم الناس فلا يضيق صدره بما يصدر عن بعض المسلمين من أخطاء .

هذا الخلق الذي يحبه الله ويرضاه وقد تمثل في قوله عليه الصلاة والسلام لأحدهم

«إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالأَنَاةُ» (رواه مسلم)

كلمة قالها النبي صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس المنذر سيد قومه، وسبب إسلامه كان زوج ابنته منقذ بن حبان -رضي الله عنه- قدِم المدينة بتجارة له فكلمه النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن قومه وأشرافهم رجل رجل بأسمائهم، فأسلم وحفظ من القرآن.فلما عاد اطلعت عليه امرأته -وهي بنت المنذر- وهو يصلي ويقرأ، فقالت لأبيها: "أَنْكَرْتُ بَعلِي مُنْذُ قَدِمَ مِنْ يَثْرِبَ، إِنَّهُ يَغْسِلُ أَطْرَافَهُ وَيَسْتَقْبِلُ الْجِهَةَ -تَعْنِي الْقِبْلَةَ- فَيَحنِي ظَهْرَهُ مَرَّةً وَيَضَعُ جَبِينَهُ مَرَّةً ذَلِكَ تدينُهُ مُنْذُ قَدِمَ فَتَلاقَيَا فَتَجَارَيَا ذَلِكَ فَوَقَعَ الإِسْلامُ فِي قَلْبِهِ، ثُمَّ ثَارَ الأَشَجُّ إِلَى قَوْمِهِ -عَصَرٍ وَمُحَارِبٍ- بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ فَوَقَعَ الإِسْلامُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَجْمَعُوا عَلَى السَّيْرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَارَ الْوَفْدُ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجُلَسَائِهِ:
«أَتَاكُمْ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ خَيْرُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَفِيهِمُ الأَشَجُّ ، غَيْرَ

نَاكِثِينَ وَلا مُبَدِّلِينَ وَلا مُرْتَابِينَ إِذْ لَمْ يُسْلِمْ قَوْمٌ حَتَّى وُتِرُوا»" (شرح النووي على مسلم)، وُتِرُوا: أي أصيبوا بقتل أو أسر.

فلما وصلوا المدينة بادروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأقام الأشج عند رحالهم فجمعها وعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه، ثم أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقربه النبي صلى الله عليه وسلم وأجلسه إلى جانبه، وقال له فيما قال: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالأَنَاةُ».

تأخر الأشج ومع ذلك سبق، وبادر قومه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك أجلس النبي صلى الله عليه وسلم الأشج إلى جانبه؛ لأنه الحليم العاقل المتأني المتثبت غير المتعجل، فهل نتعلم الخصال التي يحبها الله في البشر وفي المؤمنين خصوصًا؟ وهل نطبق ذلك في حياتنا وقراراتنا ومصير أمتنا؟

إنك لو رأيت كثيرًا من النتائج السلبية لكثير من أعمالنا بمختلف أشكالها لرأيت أن العجلة هي السبب في ذلك وأن فقدان الأناة سبب رئيس في فقدان ما نريد .

الرفق يمنٌ والأناة سعادةٌ فاستأنِ في رفقٍ تلاق نجاحا

فالأناة تعني عدم العجلة في طلب الشيء ، والتمهل في تحصيله والترفق به .

تأمّل بعناية كيف ذم الله العجلة في قوله تعالى : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } .

وتأمل كيف امتدح الله تعالى وفد عبد القيس من أرض هجر بصفة الحلم والأناة، حيث قال لأشجَّ عبد القيس _ : (إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة) متفق عليه .

فهنيئًا للمتأني محبة الله تعالى له ، وثناء النبي ' عليه .

كيف لا والنبي ' ينسب التأني إلى الله تعالى، وينسب العجلة إلى الشيطان، فيقول ' :

(التأني من الله، والعجلة من الشيطان، وما أحد أكثر من معاذيرٍ من الله، وما شيء أحب إلى الله من الحمد) رواه أبو يعلى ورواته رواة الصحيح .

ولنعلم أن التأني جزء من شخصية الإنسان الراسخة الواثقة، فإن صاحبه يكون أكثر نظرًا وتأملاً لحاله

وخطواته التي يخطوها، فتراه واثق الخطى، بعيدًا عن التردد، ليس بكثير التراجع، ولم يستمرئ الفشل ،

بل هو يعي ماذا يقدم عليه، يمحصه بالدراسة والتشاور وبعد النظر ، حتى إذا ما أقدم متكلاً على الله

تعالى كان أكثر ثباتًا ونجاحًا، ولو وقع في خطأ فسرعان ما يرجع عنه، غير معاتب لنفسه ولا قنوط منربه .

ولذا قال النبي ’ : (السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة) رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

وقد ذمّ النبي ’ العجول في الدعاء وعدّه من أسباب عدم الإجابة فقال ’ :

(يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، فيقول : قد دعوت ربي فلم يستجب لي) متفق عليه.

وعن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ يَقُولُ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدْ اللَّهَ وَلَمْ

يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي ثُمَّ عَلَّمَهُمْ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يُصَلِّي فَمَجَّدَ اللَّهَ وَحَمِدَهُ

وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادْعُ تُجَبْ وَسَلْ تُعْطَ) رواه النسائي وذكره الألباني في الصحيحة .

لا تعجلنَّ فربما عجل الفتى فيما يضرّه ولربما كره الفتى أمرًا عواقبه تسرّه

ما أجمل التأني تلتصق بصاحبه صفة خيرّة ، تعود على قلبه بالطمأنينة، ولا تلحق به الأذى الذي يتبع المستعجل حتى

يؤذيه، ولا تؤرقه أناة في ليل، ولا تشقيه في نهار، قال أبو حاتم ' : (إن العاجل لا يكاد

يلحق، كما أن الرافق لا يكاد يُسبق، والساكت لا يكاد يندم، ومن نطق لا يكاد يسلم، وإن العجل يقول قبل

أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويحمد قبل أن يجرب) .

لا تعجلنّ فليس الرزق بالعجل الرزق في اللوح مكتوب مع الأجل

فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا لكنه خُلق الإنسان من عجل

كم سيخسر التاجر حينما يتعجل في شراء بضاعةٍ مّا وهو لا يخبرها، وكم سيتحسر الزوجان حينما

يقدمان على الزواج من دون روية ولا مشورة ولا تأمل، وكم هو الضياع كبير لو عجل الزوج بطلاق

زوجته من دون أن يحاورها ويتحدث إليها بالأدب والخلق أو يسند أمرهما إلى حكمين حكيمين ؟وكم

سيندم الطالب حينما لا يتروى في امتحانه فلا يمعن النظر في إجابته! وكم سيأسف الصديق حينما يتهم

صديقه بريبة ليس لديه فيها برهان! وهل سيوفق القاضي لو عجل في قضائه؟

يا للحكمة التي أنطق الله بها حبيبه ’ كم هي عظيمة ومباركة ، عَنْ عَلِيٍّ _ قَالَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ فَقَالَ إِنَّ

اللَّهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَصْمَانِ فَلَا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنْ الْآخَرِ كَمَا

سَمِعْتَ مِنْ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ قَالَ فَمَا زِلْتُ قَاضِيًا أَوْ مَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَعْدُ) رواه أبو داود وأحمد وصححه أحمد شاكر .

تأنّي يا رعاك الله وتثبتي فيما تنطقين، لا تعجلي بالحديث، وما الذي يدعوك إلى المضي في شأن منغير روية ولا دراية، فإنك تملكين نفسك ما دمت في مهلة النظر والتأمل، وما دامت الكلمة في

خاطرك، وما دام الفعل لم يصدر منك، فإذا انطلقت الكلمة من فيك، وتحركت جوارحك بأعمالك، فأنت الآن رهن النتائج .

أما تري كم تضيق السجون بأهلها ،ولو سألتيهم لقالوا بصوت واحد : إنا كنا من المستعجلين .

كوني قوية الإرادة في مسك زمام نفسك عن الإقدام إلا بعد التأني وحسن التعقل ، فالإقدام بعد العلم والحلم والأناة محمود، وخصوصًا في مضمار الآخرة، فلا تتقهقر عن فعل الخير، بل لا تُسبق إليه، وكن مسابقًا مسارعًا، فعن سعد بن

أبي وقاص _ قال : قال رسول الله ’ : (التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة) رواه أبو داود وصححه الألباني .

ويفرق الإمام النووي ‘ بين التأني والوقار فيقول : (التأني في الحركات واجتناب العبث هو السكينة المحمودة، أما غض البصر وخفض الصوت وعدم الاالتفات فهو الوقار) .

والتجربة تثبت أن من ابتلي بالعجلة، ثم تنبه لنفسه، فإنه يستطع أن يمرن نفسه على التريث، فإنه إذا وجد فائدته وطيب ثمرته، بقي عليه واستمر.

وربما كانت العجلة من الصفات التي يتسم بها الشباب، وهي أخطر ما تكون على نتائج أعمالهم ، فما أروع أن نربيهم على حسن التدبير وطول التفكر وعدم الاندفاع نحو الظلام من دون نور العلم ،

فالجناية لن تكون آثارها عليهم فحسب بل على مجتمعهم وأهليهم

اللهم ارزقنا حب كل خلق يزيننا ، واشملنا برحمتك، واجعلنا من السابقين إلى رضاك

إن مما يغري الشيطان الإنسان أنه يخدعه بطبعه، حتى لا يترك له مجالاً للتفكير في تهذيبه أو محاولة ارتقائه نحو الأفضل، فبعضنا يردد على نفسه داخليًا أو خارجيًا بأنه مطبوع على العجلة، حتى لا يريد أن ينفك عنها، ولربما ليعذر نفسه في كثير من أخطائه أو تصرفاته العجولة .

لنتذكر أن الحلم بالتحلم، فدرب نفسك على التمهل في فكرك ونظرك وقراراتك وعما تتحدث به، لا تكثرعلى نفسك من الاعتذار لكثرة عجلتك، وتذكر أنه ليس في كل مرة تسلم الجرة ، بل ربما انكسرت ونال البعيد من أذاها الشيء الكثير سلمك الله من كل مكروه .

هل تعلم أن النبي ' وقف موقف الحزم ممن عجل وخصوصًا حينما تقع النتائج فادحة تمس الأرواح والأنفس !!

ففي حديث أسامة بن زيد – رضي الله عنها – أنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة من جهينة ، قال : فصبحنا القوم فهزمناهم ، قال : ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ،

قال : فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله ، قال : فكف عنه الأنصاري ، فطعنته برمحي حتى قتلته ، قال :

فلما قدمنا بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال : فقال لي : (يا أسامة ، أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله

؟) قال : قلت يا رسول الله ، إنما كان متعوذاً ، قال : فقال : (أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله) ، قال : فما زال يكررها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

وأغلظ صلى الله عليه وسلم على المستعجلين في حديث جابر _ حيث قال : خرجنا في سفر فأصابرجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء

فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبربذلك فقال قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمموبعصر أو يعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده) رواه أبو داود .

ثمــرات الحلــم:

١- الحلم وسيلة للفوز برضا الله وجنته، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم))من كظم غيظًا وهو قادر على أن يُنْفِذَهْ، دعاه الله -عز وجل- على رءوس الخلائق يوم القيامة، يخيره من الحور العين ما شاء ((صحيح الترغيب

٢- الحلم دليل على قوة إرادة صاحبه، وتحكمه في انفعالاته، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم))ليس الشديد بالصُّرْعَة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ((البخاري

٣-الحلم وسيلة لكسب الخصوم والتغلب على شياطينهم وتحويلهم إلى أصدقاء، قال تعالى {ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم} فصلت ٣٤

٤- الحلم وسيلة لنيل محبة الناس واحترامهم، فقد قيل: أول ما يُعوَّض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره.

وعلى الرغم من أن الحلم كله خير، ويأتي بالخير، وأن الشر في الغضب، إلا أنه أحياناً يحمد الغضب بل يجب...فالغـــضب نوعـــان:

١- الغضب المحمود:

هو الذي يحدث بسبب انتهاك حرمة من حرمات الله، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم -وهو القدوة والأسوة الحسنة- لا يغضب أبدًا إلا أن يُنْتَهك من حرمات الله شيء.

٢- الغضب المذموم:

وهو الذي يكون لغير الله، أو يكون سببه شيئًا هينًا، وقد ينتهي أمره إلى ما لا يحمد عقباه.

وقد نتساءل أخواتي هل من وسائل تعين للتحلي بخلق الحلم فنقول لك نعم ..هناك عدة وسائل منها:

١- الدعاء:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله بأن يهديه إلى أحسن الأخلاق فكان من دعائه: ((واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت)) .

٢- النظر في عواقب الاستعجال:

قال أبو إسحاق القيرواني: (قال بعض الحكماء: إياك والعجلة فإنّ العرب كانت تكنيها أم الندامة؛ لأنّ صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكّر، ويقطع قبل أن يقدّر، ويحمد قبل أن يجرّب، ويذمّ قبل أن يخبر، ولن يصحب هذه الصفة أحد إلّا صحب الندامة، واعتزل السلامة) .

٣- معرفة معاني أسماء الله وصفاته:

فمن أسمائه سبحانه الحليم والرفيق ومن معانيهما التأني في الأمور والتدرج فيها، وترك التعجل في أخذ الظالمين واختبارا لصدق من انتسب للإيمان وذلك إقامة للحجة وقطع للمحاجة وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. .

قال تعالى: وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ [يونس: ١١].

٤- قراءة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم:

فنستفيد من سنته صلى الله عليه وسلم التأني والصبر على الإيذاء، قال خباب بن الأرت رضي الله عنه: ((شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)) .

٥- قراءة سيرة السلف الصالح:

سيرة سلفنا الصالح نجد فيها تحليهم بخلق التأني والتريث في أمورهم فقراءة سيرتهم فيها دروس وعبر.

٦- استشارة أهل الصلاح والخبرة:

إذا أقدم الشخص على أمر يجهله فعليه أن يستشير أهل الصلاح والخبرة ولا يتعجل في أمره، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ [آل عمران: ١٥٩].

قال الماوردي: (الحزم لكل ذي لب أن لا يبرم أمرا ولا يمضي عزما إلا بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح. فإن الله تعالى أمر بالمشورة نبيه - صلى الله عليه وسلم - مع ما تكفل به من إرشاده، ووعد به من تأييده، فقال تعالى: وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ.. وقال الحسن البصري - رحمه الله تعالى -: أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون وإن كان عن مشورتهم غنيا) .

وقد قال الله -عز وجل- موصياً نبيه -عليه الصلاة والسلام- ومربياً الأمة على هذا الخلق: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) سورة الأعراف. ويقول سبحانه مثنياً على أصحاب هذا الخلق النبيل: وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ

وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٣-١٣٤) سورة آل عمران.

إنها معالم نورانية للسالكين، وبراهين ربانية لشحذ همم السائرين، ترشدهم إلى الخلق الذي يستوعبون به الناس؛ لينقلوهم من ضيق النفوس إلى سعة القلوب والصدور، وإن من أحوج الناس لتلمس تلك الدلالات والمعاني الذين يتصدرون لدعوة الناس، فالذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم. والنبي -صلى الله عليه وسلم- خالط الناس في دعوته بالاحتساب والصبر والحلم والأناة ولم يخالطهم بالفظاظة والغلظة والقسوة والغضب، وصدق الله: وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ (١٥٩) سورة آل عمران.

وحياته -صلى الله عليه وسلم- وسيرته العطرة دليل الصدق على سمو نفسه -عليه الصلاة والسلام- فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ". إنه موقف رهيب، وحلم عجيب، وبهاء وروعة، وسمو وتواضع، مصدره إيمان وحلم يزين جبين الرحمة المهداة والمنة المسداة لهذه البشرية الحائرة

التي كانت قبل محمد -صلى الله عليه وسلم- لا تعرف ما معنى الرحمة ولا ما معنى الخلق.

فبالله عليكن أخواتي –

لو كانت هذه المعاني مستحضرة في واقعنا وواقع تعاملنا مع عباد الله -عز وجل- كيف سيكون حال دعوتنا؟ كيف لو استحضر المعلم هذا المعنى مع طلابه ورواد درسه؟ وكيف لو استحضرت المعلمة ذلك مع طالباتها؟ وكيف لو تأمل الداعية والمربي والشيخ والعالم هذا الموقف من النبي -صلى الله عليه وسلم- وتمثله أصحاب الرسالات والدعوات في حياتهم، كيف سيكون حال الناس؟

وإليك أختي شيئاً من نماذج حلم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام

نبي الله يوسف عليه السلام:

تأنى نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام من الخروج من السجن حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته، ونزاهة عرضه، وامتنع عن المبادرة إلى الخروج ولم يستعجل في ذلك.

قال تعالى: وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ [يوسف: ٥٠].

قال ابن عطية: (هذا الفعل من يوسف عليه السلام أناة وصبرا وطلبا لبراءة الساحة)

قال أنس بن مالك –رضي الله عنه- في قوله تعالى: فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) سورة فصلت " إلى قوله: عَظِيمٍ "هو الرجل يشتمه أخوه فيقول: إن كنت كاذباً فغفر الله لك، وإن كنت صادقاً فغفر الله لي". ويقول أبو سليمان الداراني: "جلساء الرحمن يوم القيامة من جعل فيه خصالاً: الكرم والسخاء والحلم والرأفه.

وقال معاوية لعرابة بن أوس: بم سدت قومك يا عرابة؟ قال: يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطي سائلهم وأسعى في حوائجهم، فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل مني، ومن قصر عني فأنا خير منه.

قال محمود الوراق:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وما الناس إلا واحد من ثلاثة

فأما الذي فوقي فأعرف قدره وإن كثرت منه عليَّ الجرائم

شريف ومشروف ومثلي مقاوم وأتبع فيه الحق والحق لازم

وقال عمر -رضي الله عنه-: "تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم، وتواضعوا لمن

تتعلمون منه، وليتواضع لكم من يتعلم منكم، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم". ويقال ما آتى الله عبداً علماً إلا آتاه معه حلماً وتواضعاً وحسن خلق ورفقاً، فذلك هو العلم النافع.

قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم، قيل: فما بلغ من حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن فعقره فمات، فدهشت الجارية، فقال: ليس يسكن روع هذه الجارية إلا العتق فقال لها: أنت حرة لا بأس عليك.

وهكذا فالناس دائماً في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، إنهم في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية، والعطف والسماحة والود والرضا

فما أحوج طالبة العلم إلى أن تعي مسؤولياتها وأن تضئ طريقها بهديه صلى الله عليه وسلم

خاصةً أننا نفتقد في أيامنا هذه الصفة التي تُعد من أجلَّ الصفات ألا وهي: الحلم والأناة، وقد قال الله في كتابه الكريم: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (١٣٤) سورة آل عمران، ومدلول هذه الآية هو كظم الغيظ في وقت الغضب، ومحاولة إجبار النفس على الهدوء وعدم

الخروج عن السيطرة الكاملة، لأن ذلك قد يؤدي إلى عواقب وخيمة لمن يغضب، ويُعد الغضب جزءاً من الجنون؛ لأن الإنسان قد يفعل أفعالاً لا يعيها إلا بعد عودته إلى هدوئه، ومن ثَمَّ يندم عليها

والحلم من أشرف الأخلاق وأنبلها، وقد جاء في الأثر -: « من حلم ساد، ومن تفهم ازداد»

و قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحب الحليم الحيي، ويبغض الفاحش البذيء»

وقال الحكماء: غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله.

نماذج من الحلماء :-

وعلى مر التاريخ اشتهر أناس كثر بالحلم والكرم ورجاحة الرأي، ومن أشهرهم: الأحنف بن قيس؛ حيث كان من أشد الناس سلطاناً على نفسه، وكان مضرباً للمثل في الحلم فيقال: أحلم من الأحنف، وقيل له ذات مرة: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري، رأيته قاعداً بفناء داره، محتبياً بحمائل سيفه يُحدث قومه، حتى أُتي برجل مكتوف ورجل مقتول، قيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك، فوالله ما حل حبوته، ولا قطع كلامه، ثم التفت إلى ابن أخيه الذي قتل ابنه، وقال له: يا ابن أخي أسأت إلى رحمك، ورميت نفسك بسهمك، وقتلت ابن عمك. ثم قال لابن آخر له كان بجانبه: قم يابني

فحل كتاف ابن عمك، ووارِ أخاك، وسق إلى أمه مئة ناقة دية ابنها فإنها غريبة، ولعلها تسلو عنه.

ومن القصص والأمثلة الرائعة على حلم الأحنف وصبره وثباته، أنه جاء رجل إليه ولطمه على وجهه لطمة قوية، فقال له الأحنف: لِمَ لطمتني؟ فقال الرجل: لقد أعطاني بعض من الناس مالاً، وطلبوا مني أن أضرب سيد بني تميم على وجهه، فلم يغضب الأحنف، بل أجابه بهدوء وتروٍ وقال له: لقد أخطأت سيد بني تميم، فإن الحارثة بن قدامة هو سيد بني تميم الكبير، فكان الأجدر بك أن تضرب وجه الحارثة وليس وجهي، فذهب الرجل إلى الحارثة بن قدامة؛ حيث كان مشهوراً بالقسوة، والشدة، وسرعة الغضب، وعدم التهاون أو التسامح في مثل هذه الأمور، فلطم الرجل وجه الحارثة معتقداً أنه سيد بني تميم؛ فما كان من الحارثة إلا أن مسك يد الرجل وقطعها في الحال، فكان تصرف الأحنف بن قيس بحلمه وهدوئه أن عاقب الرجل بغيره.

ويُروى أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز خرج ذات ليلة يتفقد أحوال رعيته مع صاحب شرطته، فدخلا مسجداً مظلماً، فتعثر عمر برجل نائم، فرفع الرجل رأسه وقال له: أمجنون أنت؟ فقال له عمر: لا، وأراد صاحب الشرطة أن يضرب الرجل فمنعه عمر وقال: لا تفعل، إنما سألني: أمجنون أنت؟ فقلت لا.

وهذا يدل على عظمة خلق وحلم الخليفة عمر بن عبد العزيز، فلم يدفعه سلطانه بأن يعاقب الرجل ويبطش به.

ولذا يجب علينا جميعاً أن نحيي هذه الخصلة الجميلة في نفوسنا وننميها ونتدرب تدريباً جيداً حتى نعتاد على ذلك ويصبح الحلم والأناة خلقاً أساسياً في حياتنا اليومية

يقول الشاعر:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال الرضا من طبعه الغضب

إذاً مادام الأمر كذلك فعلينا أن نتجنب الغضب في جميع أحوالنا وفي علاقاتنا سواء الأسرية منها

أو الاجتماعية؛ حيث إن ظروف الحياة أصبحت الآن مختلفة عن السابق، فكثر السب والشتم واللعن بين الناس بسبب ومن دون سبب، فتجد أن بعضهم يسبك ويغضب منك لأتفه الأسباب،

وخصوصاً أثناء سيرك في الشوارع والطرقات، فيندر أن تجد الحليم الذي يتحمل الإساءة أو يغض الطرف عن بعض الهفوات غير المقصودة التي قد تصدر من بعض الناس الطائشين أو المستهترين، كذلك عدم تحمل بعض أولياء الأمور لأبنائهم والحلم عليهم هي مشكلة نعاني منها

كثيراً فبسبب هذا كثر هروب الأولاد من المنازل، وكثر الطلاق بين الأزواج، وازدادت قطيعة

الرحم بين الأقارب لأننا أصبحنا كتلة من لهب بل أشبه ما نكون بالبراكين التي تقذف بالحمم

نتيجة افتقادنا للحلم الذي هو زينة للإنسان بل هو من أعظم صفات المؤمن، لهذا لابد أن نتحلى

بهذا الخلق العظيم، وأن نغرسه في نفوسنا ونفوس اخواننا وأبنائنا وأن نجعله سلوكاً متبعاً في

كل أحوالنا في البيت والمدرسه وفي العمل والسوق.. فالحلم كما قيل هو سيد الأخلاق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين